خطاب جلالة الملك

بمناسبة اجتماع لجنة إصلاح التعليم الأصيل

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

أيها السادة

إننا حين كنا نخطط تخطيطاتنا الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، لم نكن بغافلين عما يرجع من نصيب وافر في هذا التخطيط للتعليم الأصيل، ولا أقول الأصلي، وأريد أن أسميه بالتعليم الأصيل، ذلك أن الأصلي يمكنه ألا يبقى أصيلا، ولكن الأصيل يمكنه أن يتمتع بجميع الصفات الماضي منها والحاضر، اعتباراً منا من أن مخططنا الاقتصادي والاجتماعي لا يمكنه أن يعطي نتائجه ولا يمكن أن يدر علينا الخير إذا كانت تلك المخططات في مجتمع يتنكر للبيئة المغربية وللأصالة المغربية، فاللغة العربية لم تصبح لغة عالمية إلا بعد أن تعلم العلماء العرب اللغات الأجنبية التي بها ترجموا إلى العربية كتب الفلاسفة والمهندسين والحيسوبيين والأطباء الروم منهم والفرس واليونان وغيرهم.

فإذن نرى أن اللغة العربية لم تكتف بأن تعيش منطوية على قرائها، بل لم تتمكن من أن تغزو كأداة للغزو حتى قبلت أن تتعامل وتساير حضارات ولغات أخرى، ونحن إذ نريد أن نرجع إلى الأصل وخلق علماء بكل معنى الكلمة نريد أن نجعل من علمائنا علماء مشاركين سواء في ميدان اللغة العربية أو الشريعة أو الآداب، ولكن مشاركين كذلك حتى في المعمعة العالمية التي يخوضها العالم بجانبكم حتى لا يبقوا جانبيين عنا.

ونحن نعلم كلنا أن هذه البيئة وهذه الأمة لم تكن قط أمة ولا دولة إلا منذ أن دخلها الاسلام ومنذ أن استعملت العربية واللغة العربية كأداة للتعامل بينها وللاشعاع خارج حدودها، ولكن علينا أن نرجع إلى تلك اللغة العربية ولنرى كيف تمكنت من تلك الوثبة العجيبة التاريخية التي كانت تسمى بوثبة أسطورية حتى نراها وصلت إلى ثغور تفتحها هي وحدها لم تلتجىء في ذلك إلى جنود مجندة ولا إلى جيوش مجيشة بل وصلتها وفتحتها وبقيت فيها متمكنة بما أتت به من نتائج ومن تلقيح وإبداع.

لذا ارتأينا أن نضع لجنة يترأسها وزير الدولة الحاج محمد ابا حنيني تكون ممثلة فيها وزارة التعليم ووزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية وبعض الموظفين السامين ومن هم خبرة بمشاكل التعليم ومشاكل الثقافة، وأعطينا هذه اللجنة تعليماتنا المدققة حتى يمكنها أن تبرز للوجود برنامجا منسقا منطقيا يفتح أمام كل من اتبعه منافذ شتى لا يمكن أن تكون منافذ للترقية ولا منافذ هدايا، ولكن منافذ نحن في أمس الحاجة إليها، وذلك بأن قررنا أن يكون التعليم الأصيل هو التعليم الأساسي لكل مغربي، فإذا أراد أي تلميذ من التلاميذ بعد أن يجتاز مرحلة الشهادة الابتدائية أن يختار الشعبة العلمية مثلا بقيت له ولا بد حصة مهمة جدا إلى الباكالوريا العربية.

وهكذا سيمكننا أن نخرج في المرحلة الأولى أطباء ومهندسين وعلماء في الرياضيات مطلعين تمام الاطلاع على اللغة العربية وفنونها ونحوها واشتقاقها وصرفها والمنقول منها، ولكن إذا اختار الشعبة الشرعية ذلك أن العالم لابد أن يكون مشاركا في الشريعة والأدب، وإذا هو اختار الشعبة الأصيلة تمكن من أن يتابع دراسته بلغة أجنبية، ولكن يكون الحظ الأوفر في دراسته هو للغة العربية وتكون هذه اللغة هي الأساس.

وهكذا وعلى هذه المرحلة يجتاز الباكالوريا المغربية عربية معربة ويلج إذ ذاك الجامعة ويمكنه أن يصبح أستاذا أو قاضيا أو محاميا أو رجلا يمكنه أن يضطلع بالمهام التي ستخوله تلك الامتحانات أو الشهادات التي يكون حصل عليها، ولكن هذا يتطلب أساساً أن يكون التعليم الابتدائي تعليما موجها توجيها كيفما كانت الشعبة

التي سيختارها التلميذ توجيها عربيا مسلما بحيث لا يمكن أن نتصور أن عالما أو أستاذا في كلية الشريعة أو أستاذا في كلية الحقوق أو قاضيا أنه لا يحفظ المتون التي لا مجال له من الرجوع إليها والاستدلال بها

هذه بعض النظريات وبعض المعالم التي أردنا أن نبرزها في البرنامج الذي وضعناه، فنحن مصممون العزم على أن يفتح باب الانجاز في أقرب وقت ممكن، وذلك لترميم ما وجب ترميمه من ثانويات وكليات وداخليات، ومن احداث وإنشاء ما وجب إنشاؤه في بعض المراكز التي لا تتوفر على هذه المعاهد الأصيلة التي يمكن أن تعم المغرب وتكون شاملة للبقاع المغربية.

وقد أعطينا وزارتنا والمكلفين بهذه المامورية الأمر ليطلعوكم على جميع المراحل التي سوف يمر بها هذا التخطيط، ويعطوكم جميع الايضاحات حول ما يمكن أن يشكل عليكم ويعطوكم جميع التقنيات فيما يخص المثال الصالح الأصلح لهذه الحركة التي نود أن تكون حركة مباركة حيث إنها مبنية على لغة القرآن، وحيث إن أساسها هو إشعاع الاسلام وإعطاء الحضارة الاسلامية مكانها المرموق في هذا الوقت الذي ستجد البشرية نفسها أحوج ما تكون، إلى إشعاع روحي.

ولنا اليقين — لا لأننا مسلمون فقط ولكن لأننا موضوعيون ولأننا نفكر ونقارن كذلك — لنا اليقين بأن الشبيبة العالمية لا المغربية ولا الاسلامية فحسب ولكن العالمية سوف تجد في الاسلام والأمم التي تعتنقه كديانة، سوف تجد فيه إذا هو وضح لها وفسر لها، مجالا للتفكير واسعا لأن الاسلام هو الديانة الوحيدة التي تترك باب الاجتهاد مفتوحاً، وهو الذي يطابق ويلائم كل عصر من العصور التي مرت بها البشرية في تاريخها، فالدين يسر وليس بعسر، والافتاء واسع والاجتهاد مفتوح.

ولي اليقين أننا سنعلي كلمة الاسلام والحضارة الإسلامية إذا نحن جعلنا تلك الحضارة وتلك التعاليم في متناول الجميع.

فيمكن للبعض أن يقول إن هذه الخطوة ليست كافية فلا بد من خطوات أخرى... نعم .. الحياة كلها مسيرة مستمرة، فكل خطوة لابد أن تتلوها خطوات، ولكن المهم أن يخطو الانسان الخطوة الأولى، وأساس هذا كله يرجع قبل كل شيء، وفي الأخير إليكم وإلى إخوانكم من رجال التعليم، فكيفما كانت البرامج والحصص إذا لم نجد أساتذة كفاة ولم نهيء برامج مدققة ولم نجد من يلقن سوف تكون عمليتنا هذه عملية منقوصة مبتورة.

فعليكم إذن أن تدلونا على أحسن المناهج والبرامج، وتدلونا على أحسن الأساتذة، وعلينا نحن أن نكوّن في أقرب وقت ممكن أكثر ما يمكن من الأساتذة، وحتى إذا لم نجد الأساتذة اللازمين إذا نحن وضعنا برامج وحددنا كتبا تمكنا إذ ذاك وسهل علينا أن نستدعي الأساتذة من الخارج، حيث أنهم سيكونون مدرسين بلغة يعرفونها بالطبع ولكن مدرسين في إطار محدود ألا وهو الاطار الذي يكون قد وضعته الأمة المغربية والدولة المغربية، إطار يتناسب مع حاضرها، وعلى مطمح مستقبلها ومع حقيقتها وكيانها.

وأملنا في الله سبحانه وتعالى أن تسير أعمالكم سيرا عاجلا حتى يمكننا أن نخطو الخطوة الأولى ونتبع هذه الخطوة بخطوات وخطوات إن شاء الله

أعانكم الله وسدد خطاكم.

ألقي بالرباط

الأربعاء 5 ذي الحجة 1392 — 10 يناير 1973